



الجمهورية الإسلامية الإيرانية
مجلس الشورى والفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشر

ضوابط سلوكنا

الضوابط الأخلاقية

في إبداء وجهات النظر وبيان الآراء

تأليف

الشيخ حارث خالد حسين



الجمعية العالمية للدراسات والبحوث
قلم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٣)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٢

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

الكتاب: من اجل حوار ناجح .

المؤلف: الشيخ حارث خالد حسين.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية/شعبة الدراسات
والنشرات.

التصميم: علاء سعيد الاسدي.

الاجراج الطباعي: محمد قاسم النصر اوي.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ٩٥٩ لعام ٢٠١٥ م.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع/ كربلاء المقدسة.

الطبعة: الاولى

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة.

جمادى الاولى ١٤٣٦ - آذار ٢٠١٥



﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من سنن الله تعالى على الإنسان ان جعله يعيش في مجتمع، ومن الواضح أن لفظ إنسان يوحي بهذه الحقيقة، فهو الذي يأنس بغيره. وقد جعل الله تعالى اللغة طريقاً للتفاهم بين أفراد المجتمع الذي أسسه الإنسان المحكوم بسنن خالقه تبارك وتعالى، وللتفاهم بين البشر تجري الحوارات والنقاشات في شتى المواضيع التي يحتاجها بنو البشر لتناقل المعلومات فيما بينهم وهي طريقة التعلم والتعليم الضروري لكل فرد من أفراد هذه المجتمعات.

ولكن قد تستعمل هذه الحوارات بشكل لا يراد منها التفاهم وتبادل المعلومات، بل الغاية منها محاولة الانتقاص من الغير أو محاولة الإساءة له بحجة ان هذا مجرد نقاش أو حوار، وفي الحقيقة هو جدال ومرء ومخاصمة لا يقصد منها إلا إيذاء المقابل، وكثيراً ما تكون هذه النقاشات بدون حجة قوية ولا دافع لإحقاق الحق وتبيان مواطنه، بل

هي في الحقيقة مجرد حوار فاشل.

وهذا الكراس الذي بين يدي القارئ العزيز، فيه بيان لبعض الموارد التي ذمتها الشريعة السمحاء بخصوص ما يجب تركه وما يجب الاعتناء به لصناعة حوار ناجح، بعيداً عن المراء والجدال بغير الحق. عسى ان يكون ما كتبناه مفيداً للأخوة القراء.

كان الأساس الذي اعتمدنا عليه في منهجية هذا البحث، محاولة الإفادة من الشواهد القرآنية والروايات والاحاديث عن الرسول الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام حيث استخدام مضامينها في حياتنا العملية، بجعل تلك المضامين السامية النور الذي نهدي به لإنجاح حياتنا، وتحسين سلوكنا بما يجعل المجتمع تسوده روح أخلاقية إسلامية صحيحة.

وخير الهداة هم النبي الكريم وآله الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم) فهم الدليل إلى الحق وهم السبيل إلى الحكمة في الأفعال والأقوال، فيهم يُنار طريق المجتمع الإسلامي الذي يُرجى من أفرادهِ التخلُّقُ بخلق أهل بيت النبوة عليهم السلام السامي لجعل هذا المجتمع سلبياً معافى، فيكون دستوراً للعمل بين أفرادهِ في الخلق الإسلامي النبيل.

وعسى ان نكون ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ببركة راعي

هذا الزمان وقوته الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ما هو الجدال؟

كثيراً ما نتحاور فيما بيننا، على اختلاف توجهاتنا الفكرية ومقدار ثقافتنا ونوعها وعلى اختلاف وعينا؛ وبالتأكيد على اختلاف غاياتنا من هذه الحوارات - وهو الموضوع الأهم - . فمنّا من يريد إظهار وجهة نظر معينة أو يريد ان يبين رأياً ومبتنى يعتقد بصحته، أو قد يريد مجرد نقل آراء الغير في إطار موضوع الحوار، فيكون جاداً في محاولته في إفهام مجموعة المتحاورين أن الحق معه ومع الرأي الذي يتبناه، بأسلوب ليّن، وبلغة مفهومة، وبطريقة كلام مهذبة، تعكس انه قد هضم هذه الفكرة التي يطرحها قبل ان يعرضها على الآخرين، وهذا هو الأسلوب السليم في تبادل وجهات النظر بين المتحاورين للوصول إلى افضل نتيجة وأصح طريقة لحل أي إشكال كان.

ومن جهة أخرى هناك من ليس لديه علمية ومعرفة واسعة بل لا يحيط دراية بالموضوع محل النقاش، فيكون تداخله ليس له أية قيمة وفائدة، بل قد يكون الشرارة التي تسعّر حريق التوافق والتفاهم بين المتحاورين، وغالباً ما تكون النزاعات الكلامية وغيرها تأجج من قبل هذا التداخل من الجاهل أو قد يكون (متجاهلاً) تعمد إثارة الفتنة والنزاع بين الأطراف، وهذا الذي يسمى (الجدل الاعمى). وقد حث

الإسلام الحنيف على عدم الجدال بهذه الطريقة المشينة المرفوضة من قبل الشارع المقدس وكذلك هي مرفوضة عند العقلاء.

فإذا أخذنا مثلاً لأهم الحوارات والنقاشات بين الناس، يكون إثبات حقانية العقيدة ونورانية الرسالة من أهم المواضيع التي دارت حولها النقاشات والحوارات لأهميتها، بل هي المواضيع الأهم في الحقيقة، فنرى بوضوح ان الله تعالى أمر العباد بالقول الحسن في الدعوة إليه والاحتجاج بآياته، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

واخبر تعالى ان هنالك من الناس من يخاصم ويجادل في الله وصفاته بغير علم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾^(٢)، بلا أي حجة و لا كتاب منير يهتدى به، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٣). وهذا دليل واضح على ان المجادل المحصن بالعلم والهدى، و يدعو إلى اعتقاد الحق، هو داعية حق، وأما الذي يجادل بغير العلم يدعو إلى

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة الحج: ٣.

(٣) سورة الحج: ٨.

اعتقاد باطل، والاستماع له مضيعة للوقت فيكون الإعراض عنه أولى.
والآية الكريمة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تخبر النبي الأكرم ﷺ بالطريقة المثلى لمجادلة اليهود والنصارى وتبيان الحق، فالخطاب من الله تعالى لجميع المؤمنين، فينهاهم أن يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، ونفهم من كلمة (أحسن) وهي من صيغ التفضيل، أنها تعني المرتبة الأعلى في الحسن، فلا تشديد ولا فرض الرؤى بالقوة ولا غير ذلك مما يشجج أجواء الحوار للوصول إلى المطلوب وهو الحق، وأصل كلمة الجدل هو (شدة الفتل، يقال: جدلته أجدره جدلاً إذا فتله فتلاً شديداً)^(١).

أما قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ فيُقصد بالحكمة: «البراهين القاطعة وهي للخوادم، وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهي للعوام»^(٢).

فلذلك يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس»^(٣)، فمرة تكون أنت الناطق والمحاوَر، فكن ناطقاً عن الله تبارك وتعالى، وابتعد عن جدال الجاهل فهو ناطق عن إبليس (عليه لعائن الله).

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٨ / ٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩ / ٢٦٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١٧ / ١٥٣.

الإعراض عن الجاهلين

روي عن الإمام الرضا عليه السلام، انه قال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فالسنة من ربه كتمان سره، قال الله ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(١)، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فان الله ﷻ أمر نبيه بمداراة الناس وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، وأما السنة من وليه فالصبر على البأساء والضراء، فان الله ﷻ يقول: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾^(٣)»^(٤).

يتبين من قول الإمام الرضا عليه السلام أن مداراة الناس التي هي سنة من سنن النبي ﷺ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإعراض عن الجاهلين، وأن الجاهلين لا يصح الحوار معهم، ولا تفيد الحجج لإقناعهم؛ لأنهم لا يمتلكون المقدمات فكيف يُنتظر منهم بلوغ النتائج المبتغاة من الحوار، ونزه الله تعالى الأنبياء ﷺ من هذه الصفة؛ لأنهم أصحاب الرسالة التي كلفوا بإيصالها إلى الناس، فقال تعالى للرسول الكريم تنزيهاً له ﷺ:

(١) سورة الجن: ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة: ١٧٧ .

(٤) الخصال: ١ / ٩٠ .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، وفي تبيان هذا المعنى روي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «ان الله أدب محمداً عليه السلام فأحسن تأديبه فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلما كان ذلك أنزل الله عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) فلما كان ذلك فوض إليه دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣)، وكذلك في دعاء يوسف النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالْإِنصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤) أي ممن يستحق صفة الذم بالجهل، وفي قول الله تعالى لنوح النبي عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك المتجاهلون الذين رضوا لأنفسهم هذه الصفة ولبسوا لباسها، الذين هم الأشد مكرأ بين مجموع المتحاورين؛ لأنهم تلبسوا الجهل لغاية خبيثة أضمروها لصاحب الحق بين اطراف الحوار وضرب القرآن الكريم مثلاً لمثل هؤلاء، فنقل لنا الحوار الذي دار بين موسى النبي عليه السلام وبين بني إسرائيل حول البقرة

(١) سورة الأنعام: ٣٥.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ٩ / ٣٩٧.

(٤) سورة يوسف: ٣٣.

(٥) سورة هود: ٤٦.

التي أمر الله أن تذبح، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

أما عموم المؤمنين فليس من اللائق بشأنهم أن يردوا على الجهال بالجدال العقيم، بل يترفعوا فإن لهم مقاماً أسمى وأعلى، وأن لهم مهمات وأعمالاً أهم بكثير من جدال الجاهلين، فلا ينشغلون عن هذه الأعمال والواجبات بترهات وخصومات الجاهلين الذين لا يقدرّون أهمية التكليف الذي يشتغل به أهل الأيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: ٦٧ - ٧١.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

الثرة والكلام الزائد

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(١) و هذا القول منه تبارك وتعالى يصف إحدى أهم صفات المؤمنين في ابتعادهم عن اللغو وهي الإعراض عن اللاغبي. واللغو لغة: هو «الكلام الذي لا فائدة فيه»^(٢)، فنقول وألغى إلغاء أي طرحة وتركه الكلام؛ لأنه لا فائدة فيه، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، ومعناها: «ارفعوا الصوت بكلام لا فائدة فيه»^(٤).

فإن الذين يتكلمون كثيراً لا فائدة ترتجى من كلامهم، فحيث يوجد الفراغ والفقر الفكري توجد الثرة والكلام الزائد الفارغ، وأفضل الحديث ما يذكر بالله وأوامره وما نهت عنه الشريعة، ويدعو إلى مكارم الأخلاق وحسن السلوك، فعن الإمام علي عليه السلام: «كل قول ليس فيه ذكر فلغو»^(٥)، فإن المؤمنين لا يتداولون الحديث لغواً، ولا يحاورون من كانت هذه

(١) المؤمنون: ٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٢٨.

(٣) سورة فصلت: ٢٦.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٢٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ٧٤ / ٤١٩.

طريقته وأسلوبه يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^(١) وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٢)، وذلك بسبب ما فيه من كشف عن شخصية المحاور غير المتزنة؛ لأن الذي يمسك بطرف الحوار ويستأثر بالكلام دون مراعاة لحق الطرف الآخر ثرثار لا يراعي آداب الحوار، فيتسبب الثرثار بفشل أي حوار، وفي الحفاظ على تماسكه فلا يحسب لوحدة الموضوع حساباً، ولا يضبط أدوات الحوار وآداب الكلام.

وقد ينجر الثرثار إلى الكلام المحرم من غيبة وغيرها؛ لأنه لا يتوقف عن الكلام، مضافاً إلى أنه ينافي احترام الآخرين فهو لا يفسح المجال أمامهم ليشاركوا ويمارسوا حقهم بالكلام، كذلك فإن الثرثرة قد تؤدي إلى فعل الحرام من حيث لا يلتفت المتحدث.

والاصل اللغوي لكلمة ثرثار جاءت من تشبيه «الرجل كثير الكلام المتكلف فيه بالنهر الثرثار الكثير الماء، واستعيرت الثرثرة للكلام الكثير»^(٣).

روي في الكافي، ان الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل و القال، و فساد المال و كثرة السؤال، فقيل له: يا بن رسول

(١) سورة القصص: ٥٥.

(٢) سورة الفرقان: ٧٢.

(٣) المجازات النبوية، الشريف الرضي: ١ / ١٩١.

الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله ﷻ يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله يقسي القلب، وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب»^(٢).

فبعد هذه النصوص المقدسة يتبين جلياً كراهة الثثرة والكلام الزائد الذي لا فائدة منه، أمّا الحديث الذي فيه إساءة للغير فيكون محرماً، فصار على المشترك في حوار ونقاش في أي مسألة أن يتعد عن مثل هذا الأسلوب، بل عليه أن لا يتشارك الحديث مع من يثرثر، لاسيما الذين لا يقبلون النصيحة، فالصمت في كثير من المواطن ممدوح، ويفضّل الصمت على الكلام الكثير الذي لا فائدة منه.

روى الحر العاملي رحمته الله في كتابه وسائل الشيعة عن الإمام جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال داود لسليمان عليه السلام: يا بني عليك بطول الصمت، فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام»^(٣)، فحبس اللسان خير من كلام لا يجلب

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٩٤.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٨٦.

إلا المتاعب والمشاكل بين الأخوة الذين يتحاورون في موضوع معين، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام، أنه قال: «ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان»^(١).

آفة الكذب

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾.

لتبيان معنى قوله تعالى: ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ والتلقي هو أخذ القول الذي القاه المتكلم، لذلك يقال: فلانلقى خطبة، وأما قيد (بِأَلْسِنَتِكُمْ) فذلك للدلالة على أن هذا الكلام ينتقل من لسان إلى لسان من غير تدبر أو تفكير بعواقبه أو أدراك لأهمية الحوار، فيكون حملاً للكذب والبهتان والخطأ وهذه أمور سيئة جداً تؤدي بالمتحاورين إلى ارتكاب الذنوب الكبيرة وأفك نتائج وخيمة.

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٨٨.

(٢) سورة النور ١٥ - ١٧.

يقول شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله في كتابه (التبيان في تفسير القرآن): «يقول الله تعالى مخاطباً لأمة محمد صلوات الله عليه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾^(١) يعني الذين أتوا بالإفك، وهو الكذب الذي قلب فيه الأمر عن وجهه، واصله الانقلاب، ومنه (المؤتفكات) وأفك، يأفك أفكاً إذا كذب؛ لأنه قلب المعنى عن حقه إلى باطله، فهو أفك، مثل كاذب»^(٢). لذلك قال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مفسراً لمضمون حديث هؤلاء للإشارة إلى أن هذا الحوار لم يُبتنَ على أساس من الثبوت والتبين من الحقائق قبل تداول الحديث ولم يكن له إلا الأفواه لا يتعداها، فكيف تتناقلونه لساناً عن لسان وتلفظون بما لا علم لكم به؟ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، فأن الكذب والبهتان والافتراء ذنب عظيم، فجاء نهي الله تعالى عن مثل هذه الحوارات التي تبتنى على الكذب والافتراء بلا دليل ولا حجة بقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، والكذب آفة لا تصيب من عمّر قلبه بالإيمان فهي من خصال النفاق وسوء الخلق الذي يجتنبها المؤمنون.

يروى الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص: «عن الحسن بن محبوب،

(١) سورة النور: ١١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٤٠٧.

قال: قلت لابي عبد الله الصادق عليه السلام: يكون المؤمن بخيلاً؟، قال عليه السلام: نعم، قلت: فيكون جباناً؟ قال عليه السلام: نعم، قلت: فيكون كذاباً؟، قال عليه السلام: لا، ولا جافياً، ثم قال عليه السلام: يُجِبُّ المؤمن على كل طبيعة، إلا الخيانة والكذب»^(١).

فالكذب إذا حل في مكان اشعل نيران الفتنة ولا فرق بين كذبة صغيرة أو كبيرة إذا ما فهمت الحقيقة بغير سماتها، وكم من المصائب حلت بسبب الكذب، فيسمي الإمام العسكري عليه السلام الكذب «مفتاح بيت الخبائث» فيقول عليه السلام: «جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب»^(٢).

فأي حوار دخل فيه الكذب ستكون نتيجته جملة من المشاكل التي قد يستعصي حلها مستقبلاً، فمن أدب الحوار هجران الكذب، والاعتماد على الحقائق التي يؤدي طريقها إلى فهم الواقع الذي من أجله فتح الحوار والنقاش في أي موضوع كان، هذا من جانب، ومن جانب آخر على من يريد التحوار الابتعاد عن من هو معروف بالكذب، فأن الكلام مع الكاذب مضيعة للوقت وهدر في الكلام، حيث إن الكاذب على أي حال لن يصل معك إلى ما تريد، أو قد يوهمك بأنه قد وصل

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ٢٣١.

(٢) الدررة الباهرة من الصداق الطاهرة، للشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العمالي: ١١/١.

إلى نقطة تلاق بيننا واقع الحال لم ولن تصل معه إلى أي نتيجة. فتترتب على أساس حوارك معه حلولٌ وهمية، فإن كان الموضوع مهما حلت المصيبة بالذي تعلق حاله على هذا الحوار، ولهذا عُدَّ الكاذب من غير فئة المؤمنين؛ لأنه لا يهيمه مصلحتهم بل يتعمد إيذاءهم، يروى عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام انه ذكر رجلاً كذاباً ثم قال عليه السلام: «قال الله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»^(١)»^(٢).

إنَّ حادثة كربلاء الأليمة لخير مثال على المصيبة التي سببها من قال شيئاً ووعد بشيءٍ ثم كذب وأنكر ما وعد به، فوصفهم سيد الشهداء الأمام الحسين عليه السلام بالذين كفروا بعد إيمانهم، ففي كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ذكر خطبة للإمام الحسين عليه السلام خطب بها لما رأى صفوف جيش الأعداء بكربلاء، وقال فيها الإمام الحسين عليه السلام: «فنعم الرب ربنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلوات الله عليه وآله ثم إنكم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتبا لكم ولما تريدون، إننا لله وإننا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعدا للقوم الظالمين»^(٣).

(١) سورة النحل: ١٠٥.

(٢) تفسير العياشي: ٢ / ٢٧١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٤٩.

والجميع يعلم المصيبة الأليمة التي حلت على الأمة بسبب كذب هؤلاء المجرمين وعدم وفائهم بعهودهم التي قطعوها على أنفسهم ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١)، ففضح الإمام ﷺ كذبهم وعرى إدعاءهم فما عاد لهم حجة يحتجون بها أمام الله وخلقته، فصرح بأنهم كفار ظالمون، عليهم لعائن الله وملائكته والخلائق أجمعين إلى يوم الدين، والسلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ﷺ.

(١) سورة النور: ١٥.

مجالس السوء

من المؤكد ان الإنسان يتفاعل مع من يحيط به من أفراد مجتمعه، فيجالسهم ويتحاور معهم في تلك المجالس، و إن التداخل في المجتمع والتفاعل مع قضاياها لا يعني الاحتكاك مع جميع أصناف أفرادها، فلا يصح أن نتحاور في أي مجلس نصادفه لمجرد أننا ننتمي لمجتمع واحد أو تربطنا بهم روابط معينة؛ لأن المجلس قد يؤثر فينا ويترك انطباعات غير صحيحة بسبب حوار غير مجدٍ أو حوار موضوعه سيء، فيؤثر في سلوكنا وطريقة تفكيرنا، ففي الرواية عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «المرء على دين خليله وقرينه»^(١)، وقد يؤخذ على المشاركين في حوارات تلك المجالس، مآخذ من حيث يحتسب أو لا يحتسب، فإن شاء أو لم يشأ هو احد الأفراد المشاركين في مجلس السوء، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم»^(٢)، فلا بد وأن يلاحظ الإنسان ويراعي من يجالس من الناس وقد يندم الإنسان على كثير من الحوارات في المجالس التي كان يتردد عليها، روى الشيخ الصدوق عليه السلام في كتابه علل الشرائع

(١) الكافي: ٢ / ٥٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

وصية من لقمان الحكيم في إحدى وصاياه لولده، قال: «اختر المجالس على عينيك فإن رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله يصلهم برحمته فتعمك معهم»^(١).

فهناك الكثير من المجالس التي ينبغي تجنبها والابتعاد عنها، وهي المجالس التي لا تليق بتواجد المؤمنين، التي نهت الشريعة عن إقامتها، فيروى عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: «من قعد عند سباب لأولياء الله فقد عصى الله»^(٢)، والرواية الأخرى عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل قال: «إياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنهم، وتباعدوا من ساحتهم»^(٣).

وقد أشارت العديد من الآيات القرآنية الشريفة قبل الروايات عن أهل البيت عليهم السلام إلى هذه الحوارات المحرمة في مثل هذه المجالس، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ

(١) علل الشرايع: ٢ / ١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٦٠.

(٣) نفس المصدر.

إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا^(١)، وهذا القول منه تعالى يبين النهي عن الجلوس في مجالس الكفر والاستهزاء بالدين وآيات الله تعالى فمن لا ينتهي ويجالس هؤلاء الكفرة فهو منهم، لأنه يجالسهم ويتبادل معهم الكلام فهو شريكهم، فيقول عز من قائل: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، وفي تفسير هذه الآية يروي الحر العاملي رحمته الله عن شعيب العقرقوفي، قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ إلى آخر الآية، فقال عليه السلام: إنما عنى بهذا الرجل يجحد الحق ويكذب به، ويقع في الأئمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائنا من كان»^(٢).

فإذا تنزلنا وقبلنا حداً أدنى لما يدور من حوار في المجالس التي نحضرها، هذا الحد الأدنى هو حوار يحترم معتقداتنا الإسلامية، واحترام أساسيات الدين كآيات الله أو أنبيائه أو الأئمة الأطهار عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن في مجلس يعاب فيه إمام أو ينتقص فيه مؤمن»^(٣).

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٦١.

(٣) الكافي: ٢ / ٥٢٧.

ترك ١

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾^(١)، في هذه الآية الكريمة تبيان واضح بأن أهل الكتاب كانوا في خطابهم لرسول الله ﷺ يمارون ليس لإظهار الحق بل لتثبيت الباطل، ذلك هو شأن عنادهم وكفرهم. فيحاول المماري الاستهزاء والإهانة للآخرين الذين يحاورهم، ومن الأمثلة الواضحة لهؤلاء، ما رواه الشيخ الطبرسي عن ابن الكواء الذي قال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين، كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟ فقال له الأمام عليه السلام: «ثكلتك أمك- يا بن الكواء- اسأل متعلماً، و لا تسأل متعنناً، من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل مخلصاً: لا إله إلا الله»^(٢). وقد عرف الشيخ محمد مهدي النراقي رحمته الله المرء بأنه: «طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير غرض سوى تحقيره وإهانته، وإظهار تفوقه وكياسته... والمرء لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق، فالمرء داخل تحت الإيذاء، ويكون ناشئاً من العداوة أو الحسد»^(٣).

(١) سورة النساء: ١٥٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، عن الاحتجاج: ١ / ٤٦٦.

(٣) جامع السعادات: ٢ / ١٩.

وأما علاقة المرء بالجدال - الذي قدمنا له-، فهما يشتركان في بعض الخصوصيات ويفترقان في أخرى، فالجدال والمرء يشتركان في تبيان المسائل الاعتقادية و بإثبات العقائد الحقمة والباطلة، فالجدال هنا يوصف بأنه الفعل الأحسن، وليس مذموماً، بل هو ممدوح، فهو ثبات على الإيمان، إن كان بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، وإن لم يكن بالحق والحسنى، فهو مذموم وتنقلب تسميته من جدال بالتي هي أحسن إلى جدال مذموم ومرء، سمته حب الغلبة وليس إظهار الحق فوصفناه بالمرء، فيكون من رذائل المحاورات، فيورث هذا الحوار شكوكا بدل إثبات الحقائق، ويولد شبهات تضعف البراهين، ولذا نهى الله تعالى عنه، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾^(٢).

فان علمنا ان المرء والجدال بغير الحق يوجب التباض والكرامية ويحطم الحوار ونهيه شر نهاية، فالأولى ترك هذه الأساليب البائسة في إيصال الأفكار الهدامة واستبدالها بما يكون سبباً في الألفة والمحبة و حافظاً لاستمرار الحوار بين الناس فتحل المشاكل و تتبين وتتوضح الأفكار المنتجة في مناخ معافي وسليم.

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سورة الحج: ٣.

وقد أقمنا بالدليل ان المراء والجدال غير السليم هما من الأفعال التي يبغضها الشارع، ولا ينبغي للمؤمن أن يرتكب ما يغضب الله تعالى لمجرد الغلبة في الحوار وإظهار الباطل ليُزهق به الحق، فطيب الكلام وحسن الأخلاق وترك المراء من فضائل أهل الإيمان وهو من علامات رضا المولى تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لقي الله بهن دخل الجنة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشى الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقا»^(١).

ونختم الكلام في هذا الباب بهذه الرواية المروية عن سلمان الفارسي (رضوان الله تعالى عليه)، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن رجل حتى يجب أهل بيتي وحتى يدع المراء وهو محق»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٠٧.

أيهما أفضل السكوت أو الكلام؟

يترجح الكلام على السكوت تارة، ويترجح السكوت على الكلام تارة أخرى، والضابطة في ترجيح أحدهما على الآخر هو نوع الحوار وماهية موضوعه، فترسم الجلسة نفسها الطريق الذي يسلكه المحاور. فمرة يستمع صامتاً وأخرى يكون ناطقاً بلسان الحق، والذي يريد تعلم قواعد هذا الموضوع المهم، فليدقق جيداً في وصية الرسول الأعظم ﷺ لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) والرواية عنه، قال: قال ﷺ: «يا أبا ذر، الذاكِر في الغافلين كالمقاتل في الفارين في سبيل الله، يا أبا ذر الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر. يا أبا ذر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، يا أبا ذر، إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. يا أبا ذر، إن الله عند لسان كل قاتل، فليتق الله أمراً وليعلم ما يقول»^(١).

فأما قوله ﷺ: «الذاكِر في الغافلين كالمقاتل في الفارين في سبيل الله» يبين ان السكوت في جمع الغافلين أولى من حديث يذهب أدراج الرياح،

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٨٨.

فالتكلم يجهد نفسه والغافل غير ملتفت له، فلا فائدة من الكلام في هذا الجمع من الغافلين.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الجلس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جلس السوء»، أي: ان المجلس الصالح يغني أفكارك ومجلسه عامر بذكر الله تعالى، وفيه كل الخير، وهو مفضل على الوحدة التي قد تكون ثمرة من حيث مراجعة الأنسان لأفكاره، لكن المجلس الصالح زيادة في الخير وهذا بديهي، وفي المقابل هناك جلس السوء مثل المغتاب والنمام والجاهل وغيرهم من الذين الجلوس معهم هدر للوقت ومجلبة للإثم والعياذ بالله تعالى.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك»، فيه حث على ترك الكلام الزائد الذي هو كقوله تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(١)، بل كثيراً ما يكون مجلبة للخطأ، فيكون الالتزام بعرض ما يفيد صلب الموضوع أبلغ وأدق لإيصال الأفكار بدل بعثرتها بكلام زائد عن الحاجة.

ويبقى السكوت والكلام، يتبادلان الأدوار حسب الحاجة لأي منهما، يُروى أن مولانا الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سئل عن الكلام

(١) سورة العاشية: ٧.

والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام: «لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: لأن الله ﷻ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا أستحقت الجنة بالسكوت، ولا أستوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تُجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»^(١).

فمن يستخدم الكلام في مثل أبواب الحق وترسيخ العقيدة في أذهان المؤمنين، قد استخدمه استخداماً في محله، ويؤجر على ذلك؛ لأنه سيكون في عداد الدعاة إلى الله تعالى وإلى إحياء الحق وإزهاق الباطل الذي نشر بكلام فيرد عليه بكلام، ولكن مشروط بقول الحق.

أما قوله عليه السلام: «إن الله عند لسان كل قائل، فليثق الله أمرؤ وليعلم ما يقول»، فهذا لأهمية اختيار الكلمات التي ينطق بها الإنسان، فإن للكلمات وقعاً على حياته الاجتماعية الدنيوية وكذلك على حياته الآخروية معاً، يقول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون بخير إن

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٨٩.

تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك»^(١).

فعلى الأنسان المؤمن الورع ان يحافظ على لسانه من الزلل وارتكاب المحرمات القولية، كي لا يؤذي نفسه بعقوبة نتيجة معصية، ولا يؤذي غيره بقول جارح أو تهمة باطله، يروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾^(٢)، قال عليه السلام: «يعني كفوا ألسنتكم»^(٣).

فإذا ترجح ان تقول شيئاً، فعليك ان تنتقي الموضوع والكلمات بعناية ودقة، وأذا ترجح السكوت فاجعل سكوتك معبراً عن وجوب السكوت في هذا الموضوع، فتكون قد أحرزت إيصال الرسالة سواء كنت متكلماً أو ساكناً.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: «وما خلق الله ﷻ شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه، بالكلام ابيضت الوجوه وبالكلام اسودت الوجوه، اعلم أن الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك

(١) الكافي: ٢ / ١٨٦.

(٢) سورة النساء: ٧٧.

(٣) الكافي: ٢ / ١٦٧.

وورقك، فإن اللسان كلب عقور، فإن أنت خليته عقور، ورب كلمة سلبت نعمة، من سيب عذاره قاده إلى كل كريمة وفضيحة، ثم لم يخلص من دهره إلا على مقت من الله وذم من الناس»^(١).

مكانك في المجالس

ما يجب مراعاته عند اشتراكك في المجالس:

١. المبادرة بالسلام والتحية:

يوجد عدد كبير جداً من النصوص التي تؤكد كثيراً على السلام والتحية، ومنها ما يروى عن النبي ﷺ، أنه قال: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»^(٢)، والسلام هو تحية يدعو ملقيها للسلام من الله تبارك وتعالى، و مثل هذا الدعاء يكون مباركاً وطيباً، روى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: «افشوا سلام الله فإن سلام الله لا ينال الظالمين»^(٣).

فان بخل الإنسان بالدعاء لأخيه المؤمن بالخير والسلام والرحمة

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٩٣.

(٢) الخصال: ١ / ٢٩.

(٣) الكافي: ٢ / ٨٦٥.

والبركات من الله تعالى، حق عليه القول أنه أبخل الناس، وفي هذا المعنى يروي الإمام الصادق عليه السلام حديثاً عن الله تعالى، بقوله: «إنَّ الله يقول: البخيل من يبخل بالسلام»^(١)، فاذا دخلت المجلس فسلم على من فيه بصوت مسموع وكرر السلام على كل واحد من الجالسين، وليكن وجهك بشوشاً مستبشراً معبراً عن فرحك بلقاء الأخوة، وهذه مقدمة جيدة تعطي انطباعاً جميلاً عند الآخرين.

٢. اجلس حيث يوسّع لك:

عند دخولك في مجلس يشترك فيه جمع من الناس، كما يحدث غالباً في المناسبات، والدعوات، والولائم وغيرها، أو حيث يجتمع الناس عادة في المساجد والحسينيات وغيرها من أماكن اجتماع الناس في مجالس، عليك الاستجابة لدعوة أخيك حين يفسح لك مكاناً للجلوس، فاجلس إحتراماً لرغبة الداعي؛ لأنه قد عبّر لك عن حبه وتقديره لك بدعوته، وعليك رد هذا التقدير والاحترام بمثله، فاجلس عنده امتثالاً لطلبه؛ فليس من الأدب ان تهمل من بادر بالتعبير عن إكرامه لك بعدم الاهتمام واللامبالاة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه وأوسع له في مجلسه فليأته فإنها

هي كرامة أكرمه بها أخوه...»^(١).

وفي تنمة هذه الرواية عن رسول الله ﷺ: «... وإن لم يوسع له أحد فليُنظر أوسع مكان يجده فيجلس»^(٢). إذا دخلت مجلساً ولم يوسع لك أحد مكاناً، فاجلس في المكان الأوسع، حتى لا تضايق أحداً من الجالسين أو من يحتمل قدومهم إلى هذا المجلس فيكون هناك متسع للجميع.

وفي حالة إذا أرشدك صاحب المجلس إلى مكان تجلس فيه، فعليك الامتثال لرغبة صاحب المجلس، فهو أعرف بتفاصيل المجلس وأماكن جلوس الضيوف، روي عن الإمام الصادق، عن أبيه عليه السلام، أنه قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فان صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه»^(٣).

٣. تواضع في جلستك :

واحذر من الغرور فلا تتصدر المجلس قدر الإمكان، وعليك بالتواضع في المجلس فأن التواضع للأخرين رفعة للإنسان المؤمن، وتقدير منه واحترام للمؤمنين الذين يشاركونه المجلس.

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بحار الأنوار: ٧٢ / ٤٦٥.

روي عن الرسول الأكرم ﷺ، قوله: «إذا أتى أحدكم مجلساً فليجلس حيث ما انتهى به مجلسه»^(١)، وكذلك روي عنه ﷺ قوله: «فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله»^(٢)، فإن الكرامة والمكانة لا تكون بمكان الجلوس، بل بحسن الأخلاق وزيادة التقوى والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣)

والحقيقة إنها نذكر كل ذلك ليحافظ المحاور على مكانته وجلسته الصحيحة، و ليكون صاحب شخصية قوية مؤثرة في المجالس، ولا يعرض نفسه للانتقاد بسبب جلوسه في مكان غير مكانه الطبيعي، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تسرعن إلى أرفع موضع في المجلس فإن الموضع الذي تُرفع إليه خير من الموضع الذي تُحط عنه»^(٤).

٤ . إفساح المجال للغير:

وإذا كان المكان ضيقاً وجاء عدد آخر من الناس إلى المجلس، ممن يريد المشاركة، فعليك إفساح المجال لهم للجلوس معكم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ

(١) مكارم الاخلاق، الطبرسي: ١ / ٢٢ .

(٢) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٧٧ .

(٣) سورة الحجرات: ١٣ .

(٤) غرر الحكم: ١ / ١٦٤ .

الله لَكُمْ ﴿١﴾.

وتزحزح لمن يريد الجلوس بقربك، فان ذلك من حسن الأخلاق وهو دال على الاحترام، وقد كان التزحزح من أخلاق النبي الأكرم ﷺ فقد روي أنه دخل رجل المسجد والنبي ﷺ جالس وحده فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له»^(٢)، وإياك ومد رجلك أمام الناس فإن في ذلك تحقيراً لهم وعدم احترام، ويخبرنا أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لرسول الله ﷺ، قال: «وما رؤي مقدماً رجله بين يدي جليس له قط»^(٣).

وكان أهل بيت النبوة عليهم السلام مدرسة يتعلم منها الجميع الاداب والخلاق الحميدة ومنها كيف كانوا يتعاملون مع جلسائهم، فوصف واصف الامام الرضا عليه السلام، فقال: «ما رأيت الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلمة قط، ولا رأيت قطوعاً على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مد رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط...»^(٤).

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) بحار الأنوار: ١٦ / ٢٤٠.

(٣) سنن النبي ﷺ: ١ / ١١٥.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٠٩.

ما يجب مراعاته عند الحوار في المجالس

عدم الاستعجال في الحديث:

يجب على المحاور في المجالس التحلي بالصبر والتفكير ملياً قبل الكلام في أي موضوع، لاسيما في المواضيع الحساسة التي قد تثير حفيظة شركاء المجلس، فعلى المحاور ان يتأنى ويدرس توجهات وانتماءاتهم الجالسين، عن طريق السكوت والاستماع لوجهات نظرهم، ومن بعد ان يفهم المزاج العام للمجلس يمكنه طرح أفكاره بهدوء وبلا تعجّل، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «صمت يكسوك الكرامة خير من قول يكسبك الندامة»^(١)، أو يكلم بما يجده مفيداً ولا يتعجل، وليكن حليماً ذكياً حين يصل الدور له في الكلام، فإن وجد السكوت أولى سكت، روي عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، أنه قال: «من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير»^(٢).

(١) غرر الحكم: ١ / ١٣٩.

(٢) الكافي: ٢ / ١٦٦.

حافظ على دورك في الكلام:

يجب على المحاور في المجالس، ان يلتزم بأخلاقيات المجلس والحوار، فلا يتكلم إلا حين يكون له الدور في الكلام؛ وذلك لعدة أمور، من أهمها: إن لم يلتزم كل محاور بانتظار متى تصل إليه النوبة في الكلام سوف يكون بالضرورة يقاطع من يتكلم، وهذا أمر غير ممدوح في آداب المحاور، وكثيراً ما يسهو المتحاورون فيقعوا فيه، ولا سيما في مجالس الحوار والنقاش التي يشارك فيها عدد كثير من الناس، حيث يكون أحد الجالسين متكلماً فيقاطع في كلامه، وهذا أمر مذموم جداً، يروى عن الرسول الكريم ﷺ، أنه قال: «من عرض لأخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه»^(١).

لا تتناج أحداً سراً:

ومن أهم آداب الحوار في المجالس عدم التناجي، وهو أن يهمس أحد الجالسين في أذن الآخر بحديث لكي لا يسمعه أحد الجالسين، وهذا منهي عنه، ويعتبر إساءة للآخرين، وعدم احترام يؤذي الجالسين ويُشعرهم بعدم الاهتمام من قبل المتناجين، وقد نهت الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ عن هذا الفعل، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما،

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٠٦.

فإن في ذلك ما يحزنه ويؤذيه»^(١).

انصت لمن يتكلم معك :

كن منصتاً لكلام من يحاورك بأذنك وقلبك، وكن منتبهاً لما يقول ومتفاعلاً معه، ودعه يشعر باهتمامك لما يقول ولا تشغل نفسك عنه بأي شيء، وإياك ان تهمله ولا تنصت إلى ما يقول، فاذا غاب عن ذهنك شيء مما يقول وتريده ان يعيد الكلام، فاطلب منه الإعادة، على أن يفهم أنك كنت منصتاً له ولكنك لم تسمع هذه الجزئية من كلامه، والإنصات هو السكوت والاستماع، والحوارات التي تجري بين المتحاورين الجادين يريدون منها الوصول إلى معلومة مفيدة ودقيقة ولعل خير الحوارات التي يراد منها العلم، فإذا كنت تستمع لعالم من أجل كسب المعلومة العلمية الدقيقة والمفيدة، فعليك ان تكون منصتاً له لكي تترسخ المعلومة في ذهنك، روى الشيخ الكليني رحمته الله في الكافي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الإنصات، قال: ثم مه؟ قال: الاستماع، قال: ثم مه؟ قال: الحفظ، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٠٥.

(٢) الكافي: ١ / ٦٣.

حفظ أسرار المجالس

حفظ السر من الأمور الممدوحة في الإسلام الحنيف، بخلاف إفشاء الأسرار فهي من الرذائل التي ذمها الإسلام الحنيف، وقد تدفع الصفات السلبية التي ذكرناها كالثرثرة والكلام الزائد، أو الفضول والتدخل في ما لا يعني المتكلم إلى إباحة الأسرار التي عرفها أو التي أوتمن عليها.

وفي مجالس الحوار قد تطرح بعض المواضيع الخاصة جداً، أو يتفق على شيء سري بين اطراف الحوار فيجب على الجميع الحفاظ على هذه الأسرار وعدم إشاعتها، ولا فرق بين ان تكون ذات أهمية كبيرة أو صغيرة، ما دامت تخص الآخرين وأرادوا ان لا تذاع علانية، فيكون من الواجب على المشارك في حوار مراعات هذه الخصوصيات والالتزام بالمحافظة عليها وكتماؤها،

ورد عن النبي الأكرم ﷺ في وصيته لأبي ذر رضي الله عنه، قوله: «يا أبا ذر المجالس بالأمانة وإفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك»^(١)، فكثيراً ما يأتمن الإنسان عند من يجالسه الأسرار ويذكر تفاصيلها اعتماداً على الصداقة والثقة، فان صان السر وحفظ الأمانة فهو أهل للوثاقة و

(١) بحار الانوار: ٧٤ / ٨٩.

الأمانة، وإلا فهو خائن، وقد يكون تماماً، إذ ان الكثير من الأسرار قد يكون فيها أذى للناس وضياع للأموال أو هتك أو قد تصل تبعات إفشائها إلى قتل نفس، وهنا تكمن خطورة إفشاء الأسرار، وللمحافظ على الأسرار منزلة عظيمة، فينقل عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل زوج أخاه المسلم، أو أخدمه، أو كتم له سرّاً»^(١).

وأما من يقول إن هذا الكلام سمعته عرضاً في مجلس كان فيه حوار ونقاش، وأن من قاله لم يَأْتَمَنِّي خاصة على عدم البوح به، فنقول له: من الذي أذن لك ان تملأ أذنيك بما لا يعينك، ثم من أجاز لك بأن تبوح بهذا الذي لا يعينك للناس؟ أليس الأولى ان تغض سمعك عما لا يعينك؟، يروي لنا الشيخ الصدوق عليه السلام عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قوله: «... وليس لك أن تسمع ما شئت لان الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾»^(٢)...^(٣)

لذلك فإن كل ما تسمعه في مجلس ما، فهو أمانة أنت مسؤول عن

(١) الخصال: ١ / ١٤٨ .

(٢) سورة الإسراء: ٣٦ .

(٣) علل الشرايع: ٢ / ٤٦٠ .

حفاظها ويجب عليك كتمان هذه الأسرار وعدم البوح بها و جعلها عرضة للإباحة والتسلية مع الجميع.

وذكر لنا القرآن الكريم في مورد عدم حفظ الأمانة ولزوم حفظ السر بالتفصيل في سورة التحريم التي تعرّضت إلى بعض أزواج النبي ﷺ من موقع الدم والتويخ الشديد لأنه بدا منهنّ التقصير والتهاون في حفظ ما أسرّ النبي ﷺ في حواره مع بعض زوجاته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۗ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(١).

ويتضح من هاتين الآيتين الكريمتين مقدار ما تركت هذه الحادثة وإفشاء الأسرار من أثر شديد على رسول الله ﷺ، حيث إن بعض زوجات الرسول الكريم ﷺ تسببن في إيذائه بعدم الحفاظ على الأسرار، وحفظ أسرار الزوج من أهم صفات الزوجة الصالحة الوفية لزوجها، وإذا دققنا في كيفية تعامل الرسول الكريم ﷺ مع من

(١) سورة التحريم: ٣-٤ .

أساء اليه، حيث لم ييح بكل ما قيل، فاكتفى بجزء من الكلام، يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ما استقصى كريم قط، إن الله تعالى يقول: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾»^(١)، وهذه هي أخلاق الكرماء فيردون الإساءة بالإحسان. ورسول الله صلى الله عليه وآله اكرم خلق الله وأكثرهم حلماً وصبراً مع ما أصابه من اذى من قبل الجاهلين والمعاندين على حد سواء فقال صلى الله عليه وآله: «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»^(٢)، فيرسم لنا نبينا صلى الله عليه وآله طريق الأخلاق الحميدة والآداب الحسنة والصبر على الإساءة.

(١) كنز العمال: ٢ / ٥٣٩.

(٢) بحار الانوار: ٣٩ / ٥٦.

الخاتمة

إن أهمية الحث الأخلاقي المتواصل من قبل النصوص الشريفة لإنجاح حواراتنا، نابع من أهمية أن نتبادل الحوارات التي هي وسيلة إيصال معلوماتنا للغير وهي الطريقة المثلى لدحض الأفكار الباطلة التي اعتمدها الضالون من الناس، وإن الطريقة التي تكاد تكون الأنفع، هي عن طريق الحوار ومناقشة الأدلة بعرضها على طاولة الحوار البناء، وإسقاط الباطل من المبتنيات التي قد يتوهم الانسان باتخاذها قواعد لحياته ودينه.

ومن أجل أن لا تتحول حواراتنا إلى سجلات لا فائدة منها، بل قد تكون من الخطورة بمكان، فتتسبب في نزاعات واقتتال وزرع روح البغضاء والكره الذي لطالما وقع فريسته بنو البشر على طول التاريخ، بسبب عدم توفير الأجواء المناسبة لطرح الحوار بالطريقة السليمة عند أهل العقول التي تريد أن تنيرها أنوار الحقيقة.

جعلنا الله وجميع المؤمنين من الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه

ببركة ما نستضيء به من فيوض النبوة والعترة المطهرة عليهم أفضل
الصلاة وأتم التسليم.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله تعالى على نبيه الكريم وآله
الطيبين الطاهرين.

المحتويات

٥	المقدمة
٩	ما هو الجدل؟
١٢	الإعراض عن الجاهلين
١٥	الثروة والكلام الزائد
١٨	آفة الكذب
٢٣	مجالس السوء
٢٦	ترك المرء
٢٩	أيهما أفضل السكوت أو الكلام؟
٣٣	مكانك في المجالس
٣٣	١. المبادرة بالسلام والتحية
٣٤	٢. اجلس حيث يوسّع لك

- ٣٥ .٣. تواضع في جلستك:
- ٣٦ .٤. إفساح المجال للغير:
- ٣٨ ما يجب مراعاته عند الحوار في المجالس
- ٣٨ عدم الاستعجال في الحديث
- ٣٩ حافظ على دورك في الكلام
- ٣٩ لا تنأج أحداً سراً
- ٤٠ انصت لمن يتكلم معك
- ٤١ حفظ أسرار المجالس
- ٤٥ الخاتمة